لقد أكدت الاحداث في الشهرين الماضيين مجموعة من الحقائق ، دار النقاش حولها وما زال يدور. ولا بد لنا من ان نبرز بعض هذه الحقائق ، لان ابرازها يساعدنا على استجلاء آفاق المستقبل من جهة ، ويكشف لنا زيف كثير من الدعايات التي كانت تسد وجه الافق . وأهم هذه الحقائق الثلاثة ، نطرحها فيما يلي :

اولا : أن السياسة المصرية التي قادت الى اتخاذ قرار انهاء مهمات الخبراء والمدربين السوفيات ، باسم الخروج من مأزق اللاسلم واللاحرب ، بات واضحا ما ترمي اليه . لقد أنهت حالة اللاحرب ، وأبقت حالة اللاسلم وحدها . انها هنا ، ومن الطرف العربي فقط ، ابقت الباب نحو « السلام » مفتوحا ، وسدت الطريق على الحرب ، ذلك أن القرار المصري اعطى ميزات استراتيجية لدولة الاحتلال الصهيوني بسحب الخبراء والمدربين والطيارين وبعض الاسلحة المتقدمة ، وبتعقيد أمر التعاون العسكري والسياسي مع الاتحاد السوفياتي . كما انه قدم خدمات استراتيجية جلى للولايات المتحدة عن طريق انهاء التسهيلات المصرية للبحرية السوفياتية في المتوسط . وظهر الاتجاه نحو السلام واضحا في التوجه نحو اوروبا ، ومناشدتها المساعدة على اقرار « السلام » في المنطقة. وبدأت مصر توجهها الفعلي نحو «السلام»، من خلال التحرك السياسي الذي أعلنت عنه . وهذا التحرك السياسي أشار اليه الرئيس السادات مرارا ، وذكرت وكالة انباء الشرق الاوسط ان الرئيس السادات تحدث عن هذا التحرك في اجتماع مجلس الشعب يوم ٨/١٧ قائلا : « ان ما نحتاج اليه الان هو التحرك مع الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وأوروبا الغربية والدول غير المنحازة والدول العربية » . ولكن الذي يحدث عمليا هو ان العلاقات مع الاتحاد السوفياتي تسير نحو التدهور في الوقت الذي يتم التحرك فيه باتجاه الولايات المتحدة وأوروبه الغربية والدول العربية. وكان هذا طبيعيا ، لان قرار انهاء خدمات السوفيات مطلب اميركي اولا . لقد قال كيسنجر قبل سنتين : « لنتحدث بصراحة ... تريدون مبادأة اميركية فعالة لتسوية النزاع العربي — الاسرائيلي ؟ اذن انهوا الوجود العسكري السوفياتي ثم تعالوا نتباحث ... هذا هو الشرط ... واكرر هذا هو الشرط الوحيد » (الاسبوع العربي ، العدد ١٠٦٢ ، ٧٢/٩/١١) . وظلت الولايات المتحدة ، خلال السنتين الماضيتين تضغط في هذا الاتجاه حتى جاء القرار .

ولقد رافق التحرك السياسي المصري نحو اميركا واوروبه تحرك تونسي — سعودي في اتجاه اميركا والغرب من جهة وفي اتجاه القاهرة من جهة اخرى . ومن هنا تتضح ابعاد التحرك السياسي المصري . انه تحرك ضمن دائرة معينة ، هي دائرة البحث عن حل « سلمي » . وهو تحرك نحو الخارج ، جزء من الخارج . لا نحو الخارج كله . لقد اسقط الاتحاد السوفياتي من الحساب ، ولم تعط الصين ما تستحقه من اهمية واهتمام (طبعا خوف ان يحل التنين محل الدب) .

ولقد بادرت الولايات المتحدة الى التقدم خطوة اخرى على طريق لعبة « الشد والارخاء » التي تمارسها منذ حرب حزيران : فأعلنت بعد القرار المصري مباشرة ضرورة اجراء مفاوضات مباشرة ، او مفاوضات عن كثب في جزيرة رودوس ، على ان تكون مفاوضات سرية ، وعلى أن يشارك فيها مفاوضون يتمتعون بصلاحية اتخاذ القرار (الاسبوع العربي ، المرجع السابق) . وسارت الديبلوماسية « الاسرائيلية » على الطريق ذاتها ، فتقدمت خطوة الى الامام ، وطرحت قضية المفاوضات المباشرة ، واعلن دايان ولاول مرة استعداد دولة الاحتلال للتراجع جزئيا في سيناء ، اذ قال يوم ٨/١٧ في حفل لتخريج دفعة من ضباط الاركان : « ان مفتاح الحدود الامنة كامن في صحراء سيناء ... ففي صحراء سيناء يمكننا ان نعين حدا فاصلا مؤقتا او دائما ضمن اتفاق متبادل بين مصر واسرائيل ، يعطي للمناطق الاهلة بالسكان في الجانبين عمقا أمنيا » .

لقد باتت الديبلوماسية الاميركية و« الاسرائيلية » تلعب الان، ومنذ قرار انهاء خدمة الخبراء والمدربين السوفيات ورقة المفاوضات المباشرة . المفاوضات المباشرة الان هي المطلب الاساسي . ولهذا فان ايا ابيان قد اعلن (٧٢/٨/٧) : « ان الجهد الرئيسي لاسرائيل خلال العام الثالث من وقف اطلاق النار سيركز اساسا على تحقيق المفاوضات المباشرة » . وصدرت تصريحات مماثلة عن ساسة كبار من ساسة الولايات المتحدة ، مثل ملفين ليرد وزير